

أركب^s سفينة العمل



التنفيذ / أنتراف عبد المنعم

٢. اركب .. سفينة العمل

الحمد لله رب العالمين ...

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ...

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .. اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ...

إخوتي الكرام ، التقينا في المرة الماضية ، مع المعلم الأول ، من معالم الطريق إلى ولاية الله - تبارك وتعالى - ، وكان عن الدخول على الله بالافتقار إليه وحده ، والتخلي عن كل سبب ، وقطع نظر القلب عما سوى الرب الكريم - سبحانه وتعالى - ، بل نتصل بالله - عز وجل - وحده ونرجو فضله وإحسانه ، ولكن ...

لا.. للأمنيات الكاذبة

فنحن الآن مع المعلم الثاني ، وهو شديد الصلة بالمعلم الأول ... فإن العبد وإن كان يعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأن العطاء لا يكون إلا من الله وحده ، مصداقا لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " إنما أنا قاسم وخازن ، والله يعطي " إلا أن الله - تبارك وتعالى - قد مضت حكمته وجرت سنته في خلقه ، أن جعل للنتائج أسبابا ومقدمات تفضي إليها ...

وجعل السبيل إلى ولايته ، العمل والخطو والتقرب والسير إليه ... فمن قنع بالأمنيات ، واكتفى بالأحلام ، ولم يجد في السير إلى الله ، انقطع ولم يصل ...

فما أكثر من يقول: "إني أنتظر هداية الله" أو: "أنا أنتظر توفيق الله" أو: "أنا أنتظر عطاء الله" ... ونحن كأمة نكثر في قولنا: "نحن ننتظر نصر الله" و: "ننتظر هداية الله" و.. "ننتظر ... وننتظر ..!!!"

لكن ، هل انتظرنا هذا انتظار محمود..؟! وهل يعقبه ما نرجو من الخير..؟! أم أنه قد يكون انتظارا مذموما .. لا تأتينا بعده إلا النكسات ..؟! ولا نرانا نتقدم خطوة ، إلا وتأخرنا بعدها خطوات..!؟

سر.. خيبة الأمل

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: "قد قال الله - تعالى -: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله)^٢ فتأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه

^١ جعله البخاري في ترجمة باب (فأن لله خمسه وللرسول) من كتاب (فرض الخمس) في "صحيحه".
^٢ [البقرة - ٢١٨].

الطاعات ، وقال المغترون: إن المفرطين ، المضيعين لحقوق الله ، المعطلين لأوامره ، الباغين على عباده ، المتجرئين على محارمه ، أولئك يرجون رحمة الله !!
وسر المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته ، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ، ويرجوه أن لا يكله إليها ، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها" ٣ .

فالذي يريد ولاية الله ، والذي يريد رحمة الله ، عليه أن يسير في طريق الله ، يعمل بما أمر الله - عز وجل - ، يبذل إيمانا وهجرة وجهادا ، كما قال الله . أما البطالون والكسالى الذين يدعون أنهم يرجون رحمة الله ، مع عدم السعي إلى ذلك، فكذبوا .. وصدق الله ...

إنها .. أبواب الجنة !

إن رحمة الله وولايته تنال بأسباب . انظروا إلى أبواب الجنة ، بأي شيء كانت هذه الأبواب..؟! ألم تكن بأعمال..؟! فمن كان من أهل الصلاة ، دعي من باب الصلاة .. ومن كان من أهل الصيام ، دعي من باب الريان .. وهكذا ..

هل وجدنا بابا للجنة ، ليس عنوانه عملا ، يدخل به صاحبه منه ..؟!!

هل وجدنا بابا للجنة ، يدخل منه العبد بالأمنيات والأحلام ..؟! أبدا والله ..

بل وجدنا همة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - تتسامق إلى ما هو أعلى من ذلك ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة" ، فقال أبو بكر ؓ : "بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها" ، قال : "نعم وأرجو أن تكون منهم" ٤ .

فهو ﷺ لا يريد أن ينادى عليه من باب واحد ، وإنما يطلب أن ينادى عليه من كل باب ، ويدخل على الله من كل سبب .

وهذا هو التوفيق : أن يعمل العبد ، ويعلم أن عمله سبب حتى يرحمه ربه ، وإلى أن يصطفيه في الأولياء المقربين ..

٣ الجواب الكافي ، لابن القيم .

٤ متفق عليه : أخرجه البخاري [١٨٠٧] ومسلم [١٧٦٧] عن أبي هريرة ؓ .

بين هرقل.. وسلمان

وانظر في مقارنات سريعة - وبضدها تتبين الأشياء - بين أناس عملوا وسعوا للإيمان ، وبين أناس .. علموا .. لكنهم ما عملوا وما ساروا ...

أتعرفون هرقل ملك الروم ..؟.. إنه لم ملكا فقط ، كان ملكا ، وكان له من العلم حظ ونصيب ، فكان يقرأ في كتب أهل الكتاب ، ويعلم منها الكثير ، بل كان فوق ذلك ممن ينظرون في النجوم ويتلمسون الأخبار . جاء ذلك في صحيح البخاري - رحمه الله - في كتاب بدأ الوحي ، ففيه "أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارفته : قد استكرنا هينتك . قال ابن الناظور : وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود فلا يهتمك شأنهم ، واكتب إلى مداين ملكك ، فيقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم ، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان ، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه ، فحدثوه أنه مختتن . وسأله عن العرب ، فقال : هم يختتنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر .

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص ، حتى أتاه كتاب من صاحبه ، يوافق رأي هرقل ، على خروج النبي ﷺ وأنه نبي ، فأذن هرقل لعظماء الروم ، في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم ، فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان ، قال: ردوهم علي . وقال: إني قلت مقالتي آنفا ، أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت .

فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل ..° . قال ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري: "فإن قيل: كيف ساع للبخاري إيراد هذا الخبر المشعر بتقوية أمر المنجمين والاعتماد على ما تدل عليه أحكامهم ؟ فالجواب أنه لم يقصد ذلك ، بل قصد أن يبين أن الإشارات بالنبي ﷺ جاءت من كل طريق ، وعلى لسان كل فريق ، من كاهن أو منجم ، محق أو مبطل ، إنسي أو جني ، وهذا من أبداع ما يشير إليه عالم ، أو يجنح إليه محتج"٦ .

بل إن تكثير أسباب الهداية هذا ، من كمال رحمة الله ، وإحسانه إلى العباد ، وحجته البالغة عليهم - سبحانه وتعالى - .

٥ متفق عليه : أخرجه البخاري [٧] ومسلم [٣٤٠٩] .
٦ فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني .

ثم جرى حوار طويل مشهور بينه وبين أبي سفيان ، قال في آخره : " فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا ، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ . وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ ، لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ٧ "

فها هو هرقل ، كان يعلم أن نبيا يخرج في هذا الزمان ، وأنه ما كان يظن أنه سيكون من العرب ، وانه قد تأكد بما ظهر له أنه نبي آخر الزمان ، وأنه لو يقدر أن يصل إليه لغسل قدميه بالماء ... هل يوجد علم بالحق أكثر مما توفر لهرقل؟! ... ومع ذلك لم يخط هرقل خطوة نحو الإيمان ، لم يسر إلى النبي ﷺ ، لم يلحق به ، لم يؤمن . فما انتفع بشيء من ذلك ... مع عظيم نعمة الله عليه ... لكنه ما شكرها!! ... لم يسر إلى الله ، فلم يعط قربا من الله ..

وانظروا في الجهة الأخرى إلى من قدر له أن ينشأ في بيئة وثنية .. إنه سلمان الفارسي .. لكنه سار في طريق الحق .. لما بدا له ما هو أحق من دينه - لأنه نشأ مجوسيا - ، مما كان عند النصارى ، لم ينتقل إلى دينهم فقط ، بل سأل عن أصل هذا الدين .. حتى يهاجر إليه ، ويطلبه .. يطلب القرب من ربه - تبارك وتعالى - ..

فهاجر إلى بلاد الشام ، وتنقلت به الأقدار ، من راهب إلى راهب ، حتى دل على مبعث النبي ﷺ وأنه يهاجر إلى المدينة ، أخبر بها بصفتها .. ثم جرت به الأقدار ، حتى استرق واستلب حريته التي ولد عليها ، ووصل إلى أن كان عبدا عند يهودي بالمدينة ، قبل مقدم النبي ﷺ إليها ..

وهو في كل ذلك سائر .. طالب القرب من الله - تبارك وتعالى - .. فاستحق بذلك القرب ، وكان من سادات المؤمنين ، حتى إنه قد صح الأثر عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال : "سلمان منا آل البيت" .. نعم ، لم يصح ذلك عن النبي ﷺ ، ولكنه صح عن علي ؓ ، وهو من هو في العلم ، والشرف ، والقرب من النبي ﷺ .. " منا آل البيت " .. نسبة تكريم وتشريف .. لسيره ، وجهاده ، وطلبه ، وتقربه من ربه - تبارك وتعالى - ..

كم تيسر لسلمان في نشأته الأولى؟! .. وكم تيسر لهرقل؟! .. لكن العبرة بمن سار وصدق ، وليست العبرة بمن علم وسبق - أي : سبق بالعلم ولم يسبق بالعمل - ...

وبين أهل مكة .. وأهل المدينة

انظروا!! .. هل أهل مكة كانوا أعلم بالنبي ﷺ .. أم أهل المدينة؟! .. إن أهل مكة كانوا هم أعلم ، فقد رأوا من الآيات الدالة على صدقه ﷺ أكثر مما رأى أهل المدينة ... حتى إنهم لما طلبوا

٧ سبق تخريجه .

انشقاق القمر .. انشق القمر .. وأنزل الله - تبارك وتعالى - : (اقتربت الساعة وانشق القمر)^٨

..

لكنهم لم يبادروا بالإيمان .. لم يسيروا ويسعوا نحو هذا الإيمان .. تأخر الكثير منهم ، فأخرهم الله ..

وجاء أهل المدينة .. مرتحلين من مدينتهم إلى مكة .. يطلبون الإيمان بالرسول ﷺ^٩ .. ويسعون إلى نصره النبي ﷺ^{١٠} .. فاستحقوا بذلك .. الذكر الحسن عند الله - تبارك وتعالى - .. وإثبات فضلهم في القرآن .. وكانوا هم من السابقين الأولين (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ..)^{١١} تميزوا بذلك عن كل من جاء بعدهم ..

تميزوا بذلك عن تأخر إسلامهم .. وهم أكثر أهل مكة ، مع أنه قد نشأ النبي ﷺ بينهم !! لكنهم تأخروا في العمل .. فأخروا في الذكر .. وأخروا في الفضل .. وأخروا في القرب .. ومن بادر بالعمل وسار .. رفع وأعطى ..

العتاب الرباني .. لأجل من سعى

إنها السورة التي يحفظها كل أو أكثر أهل المساجد ، وفي أولها أنزل الله - تبارك وتعالى - قرآنا .. يعاتب فيه النبي ﷺ .. (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى)^{١٢} الله - تبارك وتعالى - يثبت في القرآن عتابا للنبي ﷺ .. على ماذا؟! .. لأنه انشغل عن رجل من ضعفاء المؤمنين ومساكينهم .. عن رجل حرم نعمة النظر ، لكنه مع نقصان هذه النعمة في بدنه .. جاء يسعى .. أثبت الله له ذلك ، فقال : (وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى)^{١٣} .. يعنى : إن هذا المقبل الساعي .. لا يترك .. ولا يرد .. ولا يهمل .. بل هو بسعيه يكتسب أولويته ، وأهميته ، ويستحق إعطاء ما يطلب ..

أما غيره ، ممن أعطوا من الأسباب أكثر مما أعطى ، ممن أعطوا كمالاتهم في حواسهم ، وسلامة في أعضائهم ، وثراء في أموالهم ، وكلمة مسموعة مطاعة بين الناس .. مع عظيم رجاء النبي ﷺ أن يؤمنوا .. لما لم يكونوا ساعين إلى الإيمان ، طالبين له ، راجين القرب من الرحمن - سبحانه وتعالى - ، أمر الله نبيه ﷺ ألا يقارن بينهم .. وبين الضعيف الضرير الساعي .. بل إذا جاء الساعي قدم ، و ترك غيره ممن يسعى إليه ..

^٨ [القمر - ١] .
^٩ في بيعة العقبة الأولى .
^{١٠} في بيعة العقبة الثانية .
^{١١} [التوبة - ١٠٠] .
^{١٢} [عبس - ١ : ٣] .
^{١٣} [عبس - ٨ : ١٠] .

لا سبيل سواه .. لنيل الفضل

فالطريق إلى الله - تبارك وتعالى - ، وولاية الله - عز وجل - ، إنما تنال بالعمل و البذل والسعي ...

النبى ﷺ حدثنا عن ربنا - تبارك وتعالى - أنه - عز وجل - قال في الحديث القدسي : "أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه .. ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ .. ذكرته في ملأ خير منهم . وإن تقرب إلي بشبر .. تقربت إليه ذراعاً . وإن تقرب إلي ذراعاً .. تقربت إليه باعاً . وإن أتاني يمشي .. أتيتته هرولة"^{١٤} ..

إن الإنسان يأخذ أكثر مما يعطي - فضل الله واسع - ، لكن .. لا بد أن يقدم السعي والعمل .. فإذا ذكر العبد .. ذكره الله ، وإذا حاول العبد أن يقترب .. اقترب منه الله ، فنال بذلك ولاية الله .. فالمحروم من حرم هذه الخطوة ..

من لم يذكر .. فلم يذكره ربه ..

من لم يسع ولم يتقرب .. فلم يسع ربه إليه ولم يتقرب منه ..

فكانت بينه وبين الله .. الحواجز والمسافات ..

نعم ، إن الله كريم .. يعطيك أكثر من عملك ، لكن .. لا بد من هذا العمل ، وهذا السعي .. لا بد أن يجمع هذا ، مع كمال التبرؤ من الحول والقوة ، وبالتالي انتظار الفضل من الله -عز وجل - .. فإذا اجتمع هذان الأمران .. رزق العبد التوفيق إلى الترقى في مراتب الولاية ..

هكذا .. كان الرسول ﷺ

ففي غزوة بدر "عقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية ، وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وجعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . ويقال : بل كان شعار المسلمين جميعاً يومئذ: يا منصور أمتٌ ...

ونزل رسول الله ﷺ أدنى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ، فبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص وبسبب بن عمرو يتحسسون خبر المشركين على الماء ، فوجدوا روايا قريش فيها سقاؤهم ، فأخذوهم . وبلغ قريشا خبر رسول الله ﷺ وأنه قد أخذ سقاءهم ، فماج العسكر . وأتى بالسقاء إلى رسول الله ﷺ فقال : أين قريش ؟ فقالوا : خلف هذا الكثيب الذي ترى . قال : كم هم ؟ قالوا : كثير . قال : كم عددهم ؟ قالوا : لا ندري . قال :

^{١٤} متفق عليه : أخرجه البخاري [٦٩٩٢] ومسلم [٥٠٣٤] عن أبي هريرة ؓ .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - في "شرح صحيح مسلم" : "جرت عادة الفضلاء ، بالسؤال عن إدخال مسلم هذه الحكاية عن يحيى ، مع أنه لا يذكر في كتابه إلا أحاديث النبي ﷺ محضة ، مع أن هذه الحكاية لا تتعلق بأحاديث مواقيت الصلاة ، فكيف أدخلها بينها ؟ وحكى القاضي عياض - رحمه الله تعالى - عن بعض الأئمة أنه قال : سببه أن مسلماً - رحمه الله تعالى - أعجبه حسن سياق هذه الطرق التي ذكرها لحديث عبد الله بن عمرو ، وكثرة فوائدها ، وتلخيص مقاصدها ، وما اشتملت عليه من الفوائد في الأحكام وغيرها ، ولا نعلم أحداً شاركه فيها ، فلما رأى ذلك ، أراد أن ينبه من رغب في تحصيل الرتبة التي ينال بها معرفة مثل هذا ، فقال : طريقه أن يكثر اشتغاله وإتباعه جسمه في الاعتناء بتحصيل العلم" ١٩

لقد أراد أن يدل القارئ ، على أن هذا الخير الذي يجده بين يديه ، لم يكن سهلاً ، وإنما حصل بالتعب ..

فإذا أردت أن ترزق توفيقاً وتسديداً .. وأن تنال ولاية من الله وتكريماً .. وأن تحوز منزلة لم تسبق إليها .. فعليك أن تسلك طريق .. العمل والتعب والبذل ، وإلا .. فاقطع الأمل ..

كن إنساناً .. يسبق العاديات

هل تدبرت أخي يوماً سورة " العاديات " .. فعرفت أنها الخيل ، ذكرت بأوصافها حين تركض وتستفرغ وسعها في مواطن الجهاد في سبيل الله - تعالى -؟! .. (والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحا . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا) ٢٠

وهل تساءلت عن سر ذكر الأوصاف ، دون ذكر الموصوف .. فعرفت أن ذلك لأن الأوصاف هنا هي الأهم ، لا الأعيان .. ولأن الأوصاف لما اشتد ارتباطها بأصحابها ، صار ذكر الأوصاف كافياً في معرفة الأعيان ، دون الحاجة لذكرها؟! ..

ألم تتذكر بعدها أن الله - عز وجل - لا يقسم إلا بما له قدر عنده ، مما ينبه به عباده؟! .. فعرفت أن الخيل ، وهي من الحيوانات ، لم تكتسب هذا القدر عندما أقسم بها رب العالمين - سبحانه - إلا .. بالعمل والتعب والعدو .. في أعظم مواطن العبودية والتضحية في سبيل الله .. ثم هل عدت فسألت نفسك : لماذا أقسم الله بهذا على جحود الإنسان لنعمة ربه عليه (إن الإنسان لربه لكنود) ٢١؟! ..

١٩ شرح النووي على مسلم .

٢٠ [العاديات - ١ : ٥] .

٢١ [العاديات - ٦] .

لأنك أيها الإنسان ، قد سخرت لك هذه الخيل الموصوفة ، فما استخدمتها .. في أعظم ما خلقت له ، بل غرقت في حظ نفسك منها ، ولم تشكر من أعطاك إياها .. فكنت أنت الشاهد على نفسك بجحود نعمة ربك .. (وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد)^{٢٢} ..

بل لأنك أيها الإنسان ، قد أعطاك الله في نفسك وصفاتها .. خيرا مما أعطى الخيل .. وكيف لا وأنت المخلوق المكرم المفضل .. (ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)^{٢٣}؟! .. فكيف تبلغ خيل رتبة .. تقصر أنت عنها؟! .. ألا تكون بهذا .. شاهدا على جحودك نعمة ربك عليك؟! ..

فاعمل أخي ، ولا تسر .. بل .. اركض .. لتسبق العاديات ، وأنت أهل لهذا .. بعظيم نعمة الله عليك ، تكن تابعا .. لمن أتعب نفسه وبدنه في مرضاة الله ، وقال لمن عاتبه في شدة اجتهاده : " أفلا أكون عبدا شكورا؟! " ^{٢٤} ﷺ .

ما علاقتنا .. بالصراط المستقيم؟

إننا ندعو ربنا الكريم - سبحانه وتعالى - في كل ركعة من صلاتنا ، فنقول - على الأقل - سبع عشرة مرة ، في كل يوم وليلة : (اهدنا الصراط المستقيم)^{٢٥} فهل عرفنا ما هو (الصراط المستقيم)؟! ..

إنه - كما يقول ابن القيم - " ولا تكون الطريق صراطا ، حتى تتضمن خمسة أمور : الاستقامة ، والإيصال إلى المقصود ، والقرب ، وسعته للمارين عليه ، وتعيينه طريقا للمقصود . ولا يخفى تضمن الصراط المستقيم ، لهذه الأمور الخمسة " ^{٢٦} .

بل لا يخفى ، أن الانتفاع بالصراط .. لا يكون بمجرد معرفته ، ولا محبته ، ولا الكلام عنه ، أو ذكر محاسنه .. بل بالسير فيه .. للوصول إلى المقصود ..

فمن سار .. وصل ..
ومن وقف .. انقطع ..
ومن تأخر .. حرم ..

وهل السير إلا بالعمل؟! .. فإنه " من بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه " ^{٢٧} كما قال الصادق المصدوق ﷺ .

لذلك استحسن النووي في مقدمة "رياض الصالحين" قول القائل :

^{٢٢} [العاديات - ٧ : ٨] .

^{٢٣} [الإسراء - ٧٠] .

^{٢٤} متفق عليه : أخرجه البخاري [١٠٩١] ومسلم [٥١٥١] عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه .

^{٢٥} [الفاتحة - ٦] .

^{٢٦} مدارج السالكين ، لابن القيم .

^{٢٧} مسلم [٤٩٧٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه .

"إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا"^{٢٨}
فهل آن لكل واحد منا أن يتساءل عن علاقته " بالصراط المستقيم " الذي يدعو الله أن يهديه
إليه؟! ..

السعي العظيم .. للهدف العظيم

إنه ليس هناك هدف أعظم من .. ولاية الله ..
والتناسب بين الهدف .. والطريق الموصل إليه ، حقيقة .. كونا وشرعا ..
انظر – إن شئت – إلى أهل الدنيا .. تعتبر ..
بل انظر إلى من سبقوك .. من أولياء الله .. وسابقهم ..
وتذكر كلمة ابن القيم : " لو تخيلت قرب المحبين ، لبكيت على بعدك " .. وابك ..
بل تذكر كلمة العمل الصالح .. لصاحبه – وقد دخل معه قبره ، ليونسه - : " أنا عمك الصالح
، كنت والله سريعا في طاعة الله ، بطينا عن معصية الله ، فجزاك الله خيرا "^{٢٩} كما أخبرنا نبينا
ﷺ ..

واستحضر أن حرص الآخرين على الخير لك ، لا يوصلك إلى الخير . فقد حرص النبي ﷺ
على إيمان عمه أبي طالب – حتى آخر لحظات حياة أبي طالب – ومع ذلك .. لم يؤمن أبو طالب
!!! لأنه لم يتحرك بنفسه نحو هذا الإيمان .. وأنت لن تجد مثل النبي ﷺ يحرص على علاقتك
بربك ، ولو وجدت – على سبيل الافتراض - .. فلن ينفعك ذلك .. حتى تتحرك نحو هذه العلاقة
..

لهذا .. اركب سفينة العمل ..
ولا تسر .. بل اركض ..
حتى .. تدرك الهدف ..
ولك منا - بعد النصح – الدعاء .. وفقك الله .. وأعانك .. وأرضاك بقربه .. آمين ..

^{٢٨} رياض الصالحين ، للنووي .
^{٢٩} صحيح : أخرجه أحمد [١٨٢٦٧] وغيره عن البراء بن عازب ؓ . وصححه الألباني في " أحكام الجنائز " [١٨١] .